مساهمة الإمام الشافعي في العلوم الشرعية والإنسانية

الدكتور فلاح سعد الدلو

المحاضر في كلية الدعوة الإسلامية

وزارة الأوقاف والشئون الدينية

ومحاضر غير متفرغ في كلية الشريعة

بالجامعة الإسلامية بغزة

ملخص بحث

جاء هذا البحث للحديث عن إمام مجدد لدين الإسلام في القرن الثاني الهجري، كعالم موسوعي ساهم في كثير من العلوم الشرعية والإنسانية، وكإمام جمع بين مذهب أهل الحديث وبين مذهب أهل الرأي، إمام شهد له أعداؤه بأنه يحمل نصف عقل أهل الدنيا، ألا وهو محمد بن إدريس الشافعي مؤسس أصول الفقه السنية وشيخ الإسلام وإمام أهل السنة صاحب العقيدة الصافية واللغة العربية السليمة وصاحب الحجة البليغة فرضي الله عنه وأرضاه وجزاه عنّا خير الجزاء.

Summary of research
In the name of God the Merciful
Imam Shafi'i's contribution in the humanities

The research to talk about Imam renewed the religion of Islam in the second، century AH Encyclopedic scientist contributed in many of the Humanities.

Imam and collect between the doctrine of the people of the modern doctrine and opinion leaders، Imam saw his enemies that he carries half the world people's mind، namely، Muhammad ibn Idris Shafi'I Founder of the principles of jurisprudence and Sunni Shaykh al-Islam and the Imam of the Sunni creed Net And the Arabic language and the sound eloquent argument Va And the Arabic language and the sound eloquent argument Varzi، God bless him and grant him and us pray to the best of rewards.rzi، God bless him and grant him and us pray to the best of rewards.

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، اللهم اهدنا لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم وبعد:

فإن عنوان هذا البحث"**مساهمة الإمام الشافعي في العلوم الشرعية و الإنسانية**"حيث سأنتقي أهم ما ساهم به الإمام المطلبي أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي في العلوم الشرعية والإنسانية،

حيث منَّ الله عليه لما علم من حسن نيته، وسلامة طويته، فجعله من أئمة الهدى المتبوعين الذين ارتضت الأمة مذهبهم وسلّمت القيادة لهم ثقة منهم بعلمهم وعقلهم وفهمهم وحسن مقصدهم.

رزقه الله قوة في الفهم، وصفاء في الذهن، وكمالاً في العقل، جدّد الله به دينه، وحفظ به شريعته، فأصل الأصول، وقعّد القواعد، ونصر الحديث وأهله، وما زال الناس يستفيدون من علمه، ويحتجّون بقوله إلى يومنا هذا.

وقد امتاز مذهب الإمام الشافعي رحمه الله بكثرة أتباعه، وانتشارهم في سائر أقطار أهل الإسلام، وتحصَّل لهذا المذهب من المؤلفين في شتى أنواع العلوم ما لم يحصل لغيره، وذلك فضل الله يؤته من يشاء، فجزى الله هذا العالم الموسوعي عنا وعن المسلمين خير الجزاء.

أهداف البحث:

١- نيل رضا الله عز وجل.

٢- تسليط الأضواء على هذا العالم المبدع في مجالات العلم المختلفة.

٣- استنهاض همم العلماء وطلبة العلم الشرعي للإقتداء بهذا العالم الفذ في طلب العلم.

٤- الاهتمام بدراسة دور العلماء في تأصيل العلوم الشرعية.

٥- عرض نماذج وأمثلة من تراث الشافعي في العقيدة والفقه والحديث والتفسير والتربية.

منهج البحث: اعتمدت في منهجية بحثي على المنهج الاستقرائي التحليلي في الرجوع إلى الكتب واستخراج الآراء والأقوال.

طريقة البحث: حيث كانت طريقة البحث وفق النقاط التالية:

١- الإشارة إلى الآيات القرآنية بذكر سورها، ورقمها في كتاب الله عز وجل.

٢- تخريج نصوص الأحاديث النبوية من مصادرها، فإن كان في الصحيحين اكتفيت بهما، وإن كان في غيرهما عزوته إلى مصادره بما يحصل به البيان والمقصود، وبيان الحكم عليه مشيراً إلى اسم الكتاب، ومؤلفه، والكتاب، والباب، ورقم الجزء والصفحة، ورقم الحديث فيما هو مرقم.

٣- اعتماد المصادر والمراجع الأصلية.

٤- ذكر خاتمة موجزة ذكرت فيها أهم نتائج البحث والتوصيات، ثم فهرس للمراجع.

خطة البحث

ويشتمل البحث على مقدمة وتمهيد وستة مباحث وخاتمة على النحو التالي:

المبحث الأول: عقيدة الشافعي عقيدة أهل السنة والجماعة.

المبحث الثاني: الإمام الشافعي الفقيه الأصولي.

المبحث الثالث: الشافعي المحدث.

المبحث الرابع: الشافعي المفسر.

المبحث الخامس: الشافعي صاحب اللغة العربية السليمة وصاحب الحجة البليغة.

المبحث السادس: الشافعي الحكيم المثقف.

– الخاتمة والنتائج والتوصيات.

التمهيد:

لا خلاف بين من يعتد برأيه من المسلمين أن الإمام محمد بن إدريس الشافعي هو معلمة بارزة من معالم ثقافتنا الإسلامية، فكان إماماً موسوعياً، ورجالاً في رجل وإذا جاز لنا أن نباهي الثقافات والأمم الأخرى بعالم نعتز به، فهو نتاج خالص لديننا وحضارتنا، وهو نبت أصيل للفكر الإسلامي وللعبقرية الإسلامية في الفقه والتشريع، وفي وضوح الفكرة وسمو التعبير عنها؛ فليس ثَم إلا الإمام الشافعي.

إن الإمام الشافعي قرشي يتصل بالنبي صلى الله عليه وسلم في نسبه، حيث إن جده هو أخو هاشم والد عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم، ولقد وُلد الشافعي بغزة سنة ١٥٠هـ، وغزة ليست موطن آبائه، وإنما خرج أبوه إدريس إليها في حاجة، فمات هناك، وولد له ابنه محمد، وبعد سنتين من ميلاده حملته أمه إلى موطن آبائه (مكة)، وبها نشأ يتيماً في حجر أمه، فحفظ القرآن صغيراً، ثم خرج إلى هذيل بالبادية فحفظ كثيراً من شعرهم، ثم عاد ولزم مسلم بن خالد الزنجي، وهو شيخ الحرم ومفتيه، وقد قال له شيخه – وهو ابن خمس عشرة سنة –: (أفتِ يا أبا عبد الله، فقد – والله – آن لك أن تفتي).

ثم طلب الشافعيّ من شيخه أن يكتب له إلى مالك بن أنس – إمام دار الهجرة ومحدثها – فكتب له، فرحل إلى المدينة، حتى أتى مالكاً، وكان قد حفظ الموطأ، فقرأه عليه، وكان مالك يعجب بقراءته.

اكتسب الشافعي خلال هذه الفترة فقه مسلم بن خالد، وحديث إمامين عظيمين، إليهما انتهى حديث أهل الحجاز وهما: سفيان بن عيينة في مكة، ومالك بن أنس في المدينة، وقد قدم الشافعي العراق ثلاث مرات:

المرة الأولى: عام ١٨٤ هـ، حيث حمل – بأمر الرشيد – إلى العراق بتهمة التشيع، وفي هذه القَدْمة اختلط الشافعي بفقهاء العراق، واطلع على طرائقهم، والتقى بمحمد بن الحسن الشيباني (صاحب أبي حنيفة – رحمه الله –)، وله مناظرات معه، اطلع الرشيد على بعضها فسُر بها وأعجب بها وأكثر هذه المناظرات موجود في كتب الشافعي.

المرة الثانية: ثم عاد إلى الحجاز، وبقي بمكة مدة، ثم عنَّ له أن يقدم العراق ثانية، وكان ذلك عام ١٩٥هـ، بعد أن مات الرشيد، وفي هذه المرة كان صيته قد ذاع وانتشر، ولُقب (بناصر السنة) وعظمت منزلته حتى انضم إليه جماعة من العلماء، وصاروا يأخذون عنه، وتركوا ما كانوا عليه من طرائق سابقة، وهناك أملى عليهم كتبه التي كتبها في مذهبه القديم، وأقام سنتين، ثم عاد إلى الحجاز.

المرة الثالثة: وفي عام ١٩٨هـ قدم العراق للمرة الثالثة، ولم يلبث إلا أشهراً ومن هناك سافر إلى مصر، فدخلها سنة ١٩٩هـ،"فأقام بها إلى أن مات، يعلم الناس السنة وفقه السنة والكتاب، ويناظر مخالفيه ويحاجهم، وأكثرهم من أتباع شيخه مالك بن أنس، وكانوا متعصبين لمذهبه، فبهرهم الشافعي بعلمه وهديه وعقله، رأوا رجلاً لم تر الأعين مثله، فلزموا مجلسه، يفيدون منه علم الكتاب، وعلم الحديث، ويأخذون عنه اللغة والأنساب والشعر، ويفيدهم في بعض وقته في الطب، ثم يتعلمون منه أدب الجدل والمناظرة، ويؤلف الكتب بخطه، فيقرؤون عليه ما ينسخونه منها، أو يملي عليهم بعضها إملاءً، فرجع أكثرهم عما كانوا يتعصبون له، وتعلموا منه الاجتهاد ونبذ التقليد، فملأ الشافعي طباق الأرض علماً). [(١)].

وخطوات حياة الشافعي، وتفصيلات سيرته ودقائقها قيدها العلماء الذين أفردوا مؤلفات في سيرته ومناقبه – رحمه الله – ومن أشهرهم: البيهقي، والفخر الرازي، وابن حجر العسقلاني، ومن أفضل من ترجم له ترجمة مختصرة وافية كافية بعيدة عن الفضول النووي في كتابه: تهذيب الأسماء واللغات.

على أن الذي يعنينا الآن هو أثر الشافعي في الفكر الإنساني، والإضافات التي أضافها، فاعتبر– بحق – مجدد المائة الثانية وخير ما يمثل الأساس الذي بنى عليه الشافعي فقهه هو رسالته الأصولية، التي تعتبر أول مؤلف في أصول الفقه.

(١) أنظر ترجمة الإمام الشافعي: تاريخ بغداد ٥٤/٢، تاريخ دمشق ٢٦٧/٥١، حلية الأولياء ٦٧/٩، مناقب الشافعي لابن الأثير، سير أعلام النبلاء ٥/١٠، تاريخ الإسلام ٣٠٤/١٤، مناقب الشافعي للبيهقي، الانتقاء لابن عبد البر ص ١١٥–١٨٢، مناقب الشافعي لابن كثير، البداية والنهاية ٢٥١/١٠–٢٥٤، مقدمة تحقيق الرسالة للشيخ أحمد محمد شاكر ص٧.

المبحث الأول– عقيدة الشافعي عقيدة أهل السنة والجماعة:

إنّ دين محمد صلى الله عليه وسلم، دين عزيز ودين القول والفعل، فلا نقبل أن نتعلم العلم الشرعي الصحيح إلا ممن صحت عقيدته، وحسن عمله فالله عزّ وجل يقول:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ، كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (الصف: ٢-٣).

فمن الذنوب العظيمة أن يقول الإنسان مالا يفعل، أو أن يبتغي بعلمه غير الله، وكان الصحابي الجليل مالك بن أنس يقول:"إنَّ هذا العِلْمَ دِين فانظروا عن من تأخذونَ دينكُم"(١)، لذلك دوماً يقول العلماء الأتقياء لطلابهم: خذوا العلم من رجل لديه علم يعصمه عن الجهل، وخشية من الله تعصمه عن الغش والكذب والتدليس.

ومن هؤلاء العلماء أصحاب العقيدة الصافية، الإمام الشافعي رضي الله عنه والتي سوف نتناول فيها عقيدته في التوحيد والقدر والإيمان في المطالب الثلاثة التالية:

المطلب الأول – عقيدته في التوحيد:

تكلم الشافعي رحمه الله تعالى كما تكلم غيره من الأئمة في إثبات توحيد الله تعالى بأنواعه وكذلك في توحيد الأسماء والصفات على ما ثبتت به النصوص الصحيحة الثابتة، وكذلك في الحلف بالله وحده، وغيرها من الصفات الإلهية، كما في النصوص الآتية:

أولاً – الحلف: حيث أخرج البيهقي عن الربيع بن سليمان قال:"قال الشافعي: من حلف بالله أو باسم من أسمائه فحنث فعليه الكفارة، ومن حلف بشيء غير الله مثل أن يقول الرجل: والكعبة وأبي وكذا وكذا ما كان، فحنث فلا كفارة عليه، ومثل ذلك قوله: لعمري، لا كفارة عليه، ويمين بغير الله فهي مكروهة منهي عنها من قبل قول الرسول صلى الله عليه وسلم:"**إن الله عز وجل نهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفا فليحلف بالله أو ليسكت**"(٢).

وعلل الشافعي لذلك بأن أسماء الله غير مخلوقة، فمن حلف باسم الله فحنث فعليه الكفارة (٣)، ويدل هذا النص المبارك من هذا الإمام العظيم على مسائل مهمة في العقيدة:

---

(١) تهذيب الكمال ج١٦ ص ٣٤٢.

(٢) أخرجه البخاري كتاب الأيمان والنذور، باب لا تحلفوا بآبائكم ٥٣٠/١١، مسلم كتاب الإيمان باب النهي عن الحلف بغير الله ١٢٦٦/٣ ح١٦٤٦.

(٣) رواه ابن أبي حاتم في آداب الشافعي ص ١٩٣، وأبو نعيم في الحلية ١١٢/٩، ١١٣، والبيهقي في السنن الكبرى ٢٨٠/١، وفي الأسماء والصفات ص ٢٥٥، ٢٥٦، وذكره البغوي في شرح السنة

=

الأولى: أن الله تعالى له أسماء يجب الإيمان بها بلا تمثيل، وهذا رد على الجهمية الأولى.

الثانيـة: أن أسماء الله تعالى حسنى؛ لأنها تدل على صفات كمال، فلا يجوز تعطيلها، كما فعلت المعتزلة حيث آمنوا بها مجردة عن المعاني الحسنة التي هي صفات الله تعالى، أو كما فعل الماتريدية والأشعرية حيث عطلوا معاني بعض تلك الأسماء لأجل تعطيلهم لبعض الصفات، كالعلي والرحيم والودود، لتعطيلهم العلو والرحمة، والمحبة.

الثالثة: أن أسماء الله تعالى غير مخلوقة؛ لأنها من كلامه تعالى: وكلامه غير مخلوق، وهذا رد على الجهمية من المعتزلة والماتريدية والأشعرية جميعاً؛ حيث قالوا ببدعة القول بخلق القرآن وبدعة القول بخلق أسماء الله تعالى، وكل هذا كفر عند سلف هذه الأمة وأئمة السنة.

الرابعة: جواز الحلف بالله تعالى وأسمائه وصفاته؛ لأن الله تعالى بأسمائه وصفاته غير مخلوق.

الخامسة: عدم جواز الحلف بغير الله تعالى؛ لأنه شرك وكفر كما في الحديث الصحيح.

هذا وقد بلي كثير من الناس في هذا الزمان في الحلف بغير الله تعالى، مع ورود النهي الشديد عنه، ومع أن جميع الأئمة قد حذروا من ذلك، ونهوا عنه إثباتاً للنصوص الواردة في ذلك والتي تحذر من الحلف بغير الله.

ثانياً – إثبات الصفات التي جاءت في القرآن: وقال الشافعي في كتابه الرسالة:"والحمد لله... الذي هو كما وصف به نفسه وفوق ما يصفه به خلقه"[(١)].

وأورد الذهبي في السير عن الشافعي أنه قال: نثبت هذه الصفات التي جاء بها القرآن ووردت بها السنة وننفي التشبيه عنه كما نفي عن نفسه قال:﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾(الشورى: ١١) [(٢)].

والشافعي رحمه الله بذلك يسير على خطى من سبقوه من السلف الذين كان منهجهم في توحيد الأسماء والصفات إثبات ما ورد في الكتاب والسنة منها، مع تنزيه الله تعالى عن المشابهة كما هو مقتضى نصوص الكتاب والسنة، وهذا كقول مالك إمام دار الهجرة:

"الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة والإيمان به واجب"[(٣)]، فتبين أن الحق في هذا الباب هو الإثبات بلا تمثيل، والتنزيه بلا تعطيل.

١٨٨/١، وانظر العلو ص١٢١، ومختصره ص٧٧.

(١) الرسالة للشافعي ص٧-٨.

(٢) السير للذهبي ٣٤١/٢٠.

(٣) عقيدة السلف أصحاب الحديث ص ١٧، ١٨.

المطلب الثاني – عقيدته في القدر:

لم يفت الشافعي أن يبين عقيدته في القدر الإلهي شأنه شأن غيره من أئمة السلف، فتكلم في إثبات قدر الله تعالى بجميع مراتبه التي وردت بها النصوص وذلك كفعل باقي الأئمة، فأثبت علم الله تعالى السابق ومشيئته وإرادته وخلقه، وتكلم عن أفعال العباد، حيث أخرج البيهقي عن الربيع بن سليمان قال:"سئل الشافعي عن القدر فقال:

ما شئت كان وإن لم أشأ .. وما شئت إن لم تشأ لم يكن
خلقت العباد على ما علمت .. ففي العلم يجري الفتى والمسن
على ذا مننت وهذا خذلت .. وهذا أعنت وذا لم تعن
فمنهم شقي ومنهم سعيد .. ومنهم قبيح ومنهم حسن (١).

و أورد البيهقي في مناقب الشافعي أن الشافعي قال: إن مشيئة العباد هي إلى الله تعالى ولا يشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين، فإن الناس لم يخلقوا أعمالهم، وهي خلق من خلق الله تعالى، وأفعال للعباد، وإن القدر خيره وشره من الله عز وجل، وإن عذاب القبر حق، ومساءلة أهل القبور حق، والبعث حق، والحساب حق، والجنة والنار حق، وغير ذلك مما جاءت به السنن"(٢).

المطلب الثالث– عقيدته في الإيمان: جرى الإمام الشافعي على ما سبقه عليه غيره من علماء السلف وأئمتهم في إثبات أن الإيمان قول وعمل، وأنه يزيد وينقص، وجعلوا ذلك من أصولهم التي يذكرونها ويجيبون بها أهل البدع، فمن ذلك: الإيمان قول وعمل واعتقاد القلب:

حيث أخرج ابن عبد البر عن الربيع قال: سمعت الشافعي يقول:"الإيمان قول وعمل واعتقاد بالقلب، ألا ترى قول الله عز وجل: ﴿ **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ** ﴾ (البقرة: ١٤٣) يعني صلاتكم إلى بيت المقدس فسمى الصلاة إيمانا وهي قول وعمل وعقد"(٣).

وأخرج البيهقي عن الربيع بن سليمان قال:"سمعت الشافعي يقول: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص"(٤).

(١) مناقب الشافعي١/٤١٢-٤١٣، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: لأبي القاسم اللالكائي ٤/٧٧٧.
(٢) مناقب الشافعي ١/٤١٥.
(٣) الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء: لابن عبد البر ص ٨١.
(٤) مناقب الشافعي ١/٣٨٧.

وقال الشافعي: إن الله جل وعز، سابق بين عباده، كما سوبق بين الخيل يوم الرهان، ثم إنهم على درجاتهم من سبق عليه، فجعل كل امرئ على درجة سبقه، لا ينقصه فيها حقه، ولا يقدم مسبوق على سابق، ولا مفضول على فاضل، وبذلك فضل أول هذه الأمة على آخرها، ولو لم يكن لمن سبق إلى الإيمان فضل على من أبطأ عنه للحق آخر هذه الأمة بأولها [1].

وبهذا يتبين من الشافعي إثباته أن الإيمان قول وعمل، واستدلاله بدلالات الكتاب والسنة، وكذلك بإثباته لزيادة الإيمان ونقصانه، كما هو اعتقاد السلف رحمهم الله تعالى، وكذلك تفاضل المؤمنين في الدرجات، فهو بهذا على اعتقاد السلف رحمهم الله تعالى، بل هو من كبار أئمة السلف وشيوخهم فرضي الله عنه وأرضاه.

والخلاصة مما سبق:

أن الإيمان عند الشافعي رحمه الله تعالى قول وعمل، ويزيد وينقص كما هو مقتضى النصوص في الباب، والمؤمنون يتفاضلون في الثواب والمنزلة على حسب استكمالهم لأمور الإيمان.

المبحث الثاني– الإمام الشافعي الفقيه الأصولي:

المطلب الأول– الشافعي مؤسس علم أصول الفقه:

يعتبر كتاب الرسالة الذي ألفه الإمام الشافعي أول كتاب في علم أصول الفقه، بل في علم الأصول مطلقاً، ويعتبر الشافعي بذلك أول من صنف في أصول الفقه، صنف فيه كتاب الرسالة، وكتاب أحكام القرآن، واختلاف الحديث، وإبطال الاستحسان، وكتاب جماع العلم، وكتاب القياس، فالكتاب ليس كتاباً عادياً في حركة الفكر الإسلامي، بل هو معلم تراثي واضح على الطريق، ومعالم اجتهادية خاصة امتاز بها الإمام الشافعي.

كان الشافعي نفسه يعرف قيمة كتاب الرسالة من خلال الحركة العلمية في عصره، وكان يطلق على الكتاب اسم"الكتاب"، ولا تخفى دلالة التسمية على إدراك الشافعي للعمل العظيم الذي قام به، ولم تكن تسمية الكتاب"بالرسالة"إلا مرحلة متأخرة فرضت نفسها على الكتاب، بسبب إرسال الشافعي له إلى عبد الرحمن بن مهدي الإمام الحافظ الذي كان ينعته الشافعي بالتفرد في دنيا العلم، قبل أن يجيء إلى مصر، ثم أعاد كتابتها بمصر، وهي المشهورة، وقد اشتملت على أكثر مباحث الشافعي في الأصول [2].

(١) مناقب الشافعي: ٣٨٧/١ – ٣٩٣.

(٢) الرسالة: الشافعي ص ١٩،٣٥٧،٤٧٨، لشافعي: محمد أبو زهرة ص١٥٨–١٦٢.

وعلم أصول الفقه عبارة عن جملة من القواعد والمبادئ الأساسية، والكليّة التي يتوصل بها إلى تحصيل الأحكام والحلول وبفضل علم أصول الفقه يتعلم الفقيه المناهج والأسس والطرق التي يستطيع من خلالها استنباط الأحكام الفقهية للحوادث المتجددة، وبفضله تعرف العلل، والحِكَم التي من أجلها شرعت الأحكام الشرعية، و بفضله يعرف من يريد كتابة أي بحث من البحوث العلمية كيفية كتابة ذلك البحث لأن علم أصول الفقه قد جمع بين النقل والعقل، ومن تعمّقَ فيه عرف طريق إيراد المسألة وتصويرها والاستدلال عليها وطريقة الاعتراض والجواب والمناقشة بأسلوب مبني على أسس ومناهج وطرق يندر أن تجدها في غير هذا العلم [١].

وأشرف العلوم ما ازدوج فيه العقل والسمع واصطحب فيه الرأي و الشرع وعلم الفقه وأصوله من هذا القبيل، فإنّه يؤخذ من صفو الشرع والعقل سواء السبيل، فلا هو تصرف بمحض العقول بحيث لا يتلقاه الشرع بالقبول، ولا هو مبني على محض التقليد الذي لا يشهد له العقل بالتأييد والتسديد [٢].

فعن ابن أبي حاتم سمعت يونس يقول قال الشافعي الأصل قرآن أو سنة فإن لم يكن فقياس عليهما وإذا صح الحديث فهو سنة والإجماع أكبر من الحديث المنفرد والحديث على ظاهره وإذا احتمل الحديث معاني فما أشبه ظاهره وليس المنقطع بشيء ما عدا منقطع سعيد ابن المسيب [٣].

المطلب الثاني– الأصول الفقهية للمذهب الشافعي:

بنى الإمام الشافعي مذهبه الفقهي الأصولي على خمسة أصول، فقد جاءت هذه الأصول في كتابه الأم [٤]:

الأصل الأول– كتاب الله تعالى: يعتبر الشافعي الكتاب المصدر الأول في التشريع، والاستدلال به يتوقف على معرفة اللغة، ومعرفة أقسامها، وهو ينقسم إلى: أمر ونهي، وعام وخاص، وناسخ ومنسوخ، ومجمل ومبين وتخصيص القرآن بالسنة.

قال الشاطبي: لا ينبغي في الاستنباط من القرآن الاقتصار عليه دون النظر في شرحه وبيانه وهو السنة، لأنه إذا كان كلياً وفيه أمور كلية، كما في شأن الصلاة والزكاة والحج والصوم، ونحوها فلا محيص عن النظر في بيانه.

---

(١) أنظر: المهذّب في علم أصول الفقه للدكتور عبد الكريم النملة ص ٤٢–٤٤ بتصرف.

(٢) المستصفى في علم الأصول: أبو حامد الغزالي ٤/١.

(٣) أنظر: سير أعلام النبلاء ٢١٧/٤، البداية والنهاية،١٢١/٩.

(٤) الأم: الشافعي ٢٤٦/٧،

والشافعي يقرر أن القرآن لا ينسخ السنة، وأن السنة لا تنسخ القرآن، وهو بذلك خالف كثيراً من الأصوليين والفقهاء، ولكن يخصص القرآن بالقرآن والسنة [١].

الأصل الثاني– السنة: والسنة في اللغة أصلها الطريقة المحمودة، قال الخطابي: فإذا أُطلقت انصرفت إليها، وقد تستعمل غير مقيدة كقولهم: من سنّ سنة سيئة، وتطلق على الواجب في عُرف اللغويين والمحدّثين، وأما في عُرف الفقهاء فيطلقونها على ما لا ليس بواجب، وتطلق في مقابلة البدعة.

والسنة في المصطلح: تُطلق على ما صدر من النبي صلى الله عليه وسلم من الأقوال، والأفعال، والتقرير، وتُطلق على ما ترجح جانب وجوده على جانب عدمه ترجيحاً ليس معه المنع من النقيض [٢].

والسنة تنقسم إلى ثلاثة أقسام: قَال الشافعي في"الرسالة": لا أَعلم خلافًا بين أَهْل العلم أَن سنن رسول الله صلَّى اللَّهُ عليه وسلم تنقسم إلى ثلاثة أَقْسامٍ:

أَحدها: ما أَنْزل اللَّهُ فيه نص كتاب، فبينَ رسول اللَّه صلَّى اللَّه عليْه وسلَّم مثْل نص الْكتَاب.

والثَّاني: ما أَنْزل اللَّه فِيه جُمْلة كتاب، فبيَن عنْ اللَّهِ ما أَراد، وهذان الوجْهان لم يختلفوا فِيهِمَا.

والثالث: ما سنَّ الرسُول صلَّى اللَّه عليْهِ وسلَّم، وليس فيه نصُّ كتابٍ، واخْتلفُوا فيه، فمنْهمْ من قال: جعل اللَّه لهُ بما فرض منْ طاعته، وسبق في علْمه منْ توْفيقه لرضاهُ، أَنْ يسُنَّ فِيما ليْس فيه نصُّ كتاب، ومنْهم من قال: لمْ يسن سنَةً قطُّ إلَا ولها أَصْل في الكتاب، ومنْهم منْ قال: بل جاءتْهُ رسالة اللَّه فأَثْبت سنّتهُ بفرض اللَّه، ومنهم من قال: أُلْقِيَ فِي رُوعه كَمَا سَن [٣].

والشافعي يعمل بالسنة متى ثبتت، ولا أن يكون خبر الآحاد فيما لا تعم به البلوى، كما شرط الحنفية، ولا يطلق العمل بالمرسل، كما فعل أبو حنيفة ومالك، بل قيده بشرط أن يؤيده دليل

(١) الموافقات: الشاطبي ٤/٧، ٢٧، البحر المحيط: الزركشي ٤/١١٠–١١٨، ١١٦–٢٢٦، تاريخ المذاهب: محمد أبو زهرة ٢/٤٦١.

(٢) البحر المحيط: للزركشي ٤/١٦٤.

(٣) المرجع السابق نفسه.

آخر، كأن يكون راويه لا يرسل إلا عن ثقة، ولذلك قبل مراسيل سعيد بن المسيب كلها[١]، قال في الأم: ليس المنقطع بشيء ما عدا منقطع ابن المسيب [٢].

الأصل الثالث– الإجماع: والإجماع لغة: يطلق في اللغة على معنيين: العزم على الشيء والإمضاء، والثاني: الاتفاق.

والإجماع عند الشافعي [٣]:"هو الذي لو قلت: أجمع الناس، لم تجد حولك أحداً يعرف شيئاً يقول لك ليس هذا بإجماع، وهو أيضاً أن يجتمع علماء العصر على حكم شرعي عملي عن دليل يعتمدون عليه، ويقول: لست أقول ولا أحد من أهل العلم: هذا مجتمع عليه إلا لما تلقى عالماً أبداً، إلا قاله لك، وحكاه عمن قبله، كالظهر أربع، وكتحريم الخمر، وما أشبه ذلك [٤].

ويقرر أن الإجماع في منزلة بعد الكتاب والسنة، وقبل القياس، ويقول أيضاً: يحكم بالكتاب والسنة والمجتمع عليها التي لا اختلاف فيها، فنقول لهذا حكمنا بالحق في الظاهر والباطن، ونحكم بالسنة، قد رويت من طريق الانفراد، ولا يجتمع الناس عليها، فنقول حكمنا بالحق والظاهر، لأنه قد يمكن الغلط فيمن روى الحديث، ونحكم بالإجماع ثم بالقياس، وهو أضعف من هذا، لأنه لا يحل القياس والخبر موجود ومن هذا نرى أن الشافعي يعتبر الإجماع مقدماً على القياس [٥].

وأول إجماع يعتبره الشافعي هو إجماع الصحابة، وهو يقدم خبر الواحد على الإجماع بالرأي، أياً كان سبب الإجماع، إلا إذا تبين أن الإجماع بني على النقل، ورواه جماعة عن جماعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو ما يسمى خبر العامة، فيقدم حينئذ على خبر الانفراد، ويكون أوثق، وتكون الحجية فيه بالسنة، أو إجماع العلماء جميعاً، لا بإجماع أهل المدينة، فهو لا يرى إجماع أهل المدينة حجة، ويخالف بذلك شيخه مالكا، ويشدد النكير على أصحاب مالك، بل يرد عليهم أحياناً بأن الأكثر من أهل المدينة على خلاف ما يقولون، وهو لا يعترف بالإجماع السكوتي [٦].

---

(١) لشافعي: محمد أبو زهرة ص ١٨٥، تاريخ المذاهب: محمد أبو زهرة ٤٦٣/٢، المدخل للفقه الإسلامي: محمد شلبي ص ١٩٦.

(٢) الأم: الشافعي ٢٥٠/٧، الرسالة ص ٧٣، ٤٦١.

(٣) جماع العلم: الشافعي ص ٤٩، فقرة ٢٥٨.

(٤) الأم: الشافعي ٢٤٤/٧، الرسالة ص ٤٧١، ٥٣٣–٥٩٩، ٥٣٥.

(٥) البحر المحيط: للزركشي ٥١٧/٤–٤٣٥.

(٦) أنظر: الأم: الشافعي ٢٤٤/٧، الشافعي: محمد أبو زهرة ص ٢٢٦، تاريخ المذاهب:محمد أبو زهرة =

الأصل الرابع قول الصحابي: قال الإمام الشافعي في كتاب الأم:"ما كان الكتاب والسُنة موجودين فالعذر على من سمعهما مقطوع إلَّا بإتباعهما، فإذا لم يكن كذلك صرنا إلى أَقاويل أَصحاب الرسول أَو واحدهم، وكان قول الأَئمَة أَبي بكر وعمر وعثمان وعلي – رضوان الله عليهم – أَحبَ إلينا إذا صرنا إلى التقليد، ولكن إذا لم نجد دلالة في الِاختلاف تدل على أَقرب الاختلاف من الكِتاب والسُنَة فنتّبع القول الَذي معه الدلالة، لِأَن قول الْإِمام مشهور فإِنَهُ يلزم النّاس ومن لزم قوْله النّاس كان أَظهر ممن فتي الرَجل والنفر، وقد يأخذ بِفتياه وقد يدعها، وأَكثر المفتين يفتون الخاصة في بيوتهم ومجالسهم، ولا يعني الخاصة بما قالوا: عنايتهم بما قال الإمام، ثمَ قَالَ: فإذا لم يوجد عن الأَئِمَة فأَصحاب رسول اللَّه صَلَّى اللَّه عليه وسلم فِي الدين في موضع الأَمَانة أَخذنا بقولهم، وكان إتباعهم أَولى بنا من إتباع من بعدهم"[1].

قال الزركشي:"وهذا صريح منهُ في أَن قول الصحابي عنده حجة مقدمة على القياس، كما نقله عنهُ إمام الحرمين، فيكون لهُ قولان في الجديد، وأَحدهما موافق للقديم، وإن كان قد غفل عن نقله أَكثر الأَصحاب".

قال ابن القيم:"أما القديم فأصحابه مقرون به، وأما الجديد فكثير منهم يحكي عنه فيه أنه ليس بحجة، وفي هذه الحكاية عنه نظر ظاهر جداً، فإنه لا يحفظ له في الجديد حرف واحد أن قول الصحابي حجة، وقد صرح الشافعي في الجديد من رواية الربيع عنه بأن قول الصحابة حجة، يجب المصير إليه، وقال البيهقي في كتاب مدخل السنن له: قال الشافعي: أقاويل الصحابة إذا تفرقوا فيها نصير إلى ما وافق الكتاب والسنة أو الإجماع إذا كان أصح في القياس، وإذا قال الواحد منهم القول لا يحفظ عن غيره منهم فيه له موافقة ولا خلاف، صرت إلى إتباع قوله إذا لم أجد كتاباً ولا سنة ولا إجماعاً، ولا شيئاً في معناه يحكم له بحكمه أو وجد معه قياسه"[2].

وعلى الجملة فالشافعي يأخذ بأقوال الصحابة، وهي عنده ثلاثة أقسام:

١- ما يكونون قد أجمعوا عليه، وهذا حجة، يأخذ بها، لأنه إجماع.

٢- أن يكون للصحابي قول، ولا يوجد غيره، خلافاً أو وفاقاً، وهذا يأخذ به أيضاً.

٣- ما يختلف فيه الصحابة، فهو يختار من أقوالهم، ولا يحدث قولاً يخالفهم، ويتخير

٤٦٦/٢، المستصفى: الغزالي ٣٢٥/١ بتصرف.

(١) البحر المحيط: للزركشي ٥٥/٦

(٢) إعلام الموقعين: ابن القيم ١٢٠/٤.

من أقوالهم ما يكون أقرب إلى الكتاب والسنة، أو الإجماع، أو يؤيده قياس أقوى [١].

الأصل الخامس القياس: والنظر فيه أوسع من غيره من أبواب الأصول، والقياس اصطلاحاً: هو رد الفرع إلى الأصل بعلة تجمعهما في الحكم.

ويعتبر الشافعي القياس أصلاً لاستنباط الأحكام، ويبني ثبوت القياس على مقدمتين:

الأولى: إن كل أحكام الشريعة عامة لا تفرض في حادثة دون حادثة، ولا في زمان دون زمان، فلابد من بيان الحكم الشرعي في كل ما ينزل بالإنسان، وفي كل ما يقع منه من حوادث، وهذه إما أن تثبت بالنص الصريح، وإما أن تحمل على نص بالقياس عليه، فيقول في ذلك: كل ما نزل بمسلم ففيه حكم لازم، وعلى سبيل الحق فيه دلالة موجودة، وعليه إذا كان بعينه حكم واجب اتباعه، وإذا لم يكن فيه بعينه طلب الدلالة على سبيل الحق فيه بالاجتهاد، والاجتهاد هو القياس

الثانية: أنه يقسم على الشريعة المتعلقة بالأحكام إلى قسمين: علم قطعي يثبت بالنصوص القطعية التي تكون دلالتها على الأحكام قطعية، والقسم الثاني: ظني يكتفي في العلم بالظن الراجح، ومن هذا القسم أخبار الآحاد، والقياس، فالقياس ظني وليس قطعياً [٢].

والإمام الشافعي يقسم القياس إلى مراتب:

١- **قياس الأولى:** أن تكون العلة في الفرع أوضح وأقوى تأثيراً من الأصل، فهذا أقوى مراتب القياس.

٢- **قياس المساواة:** أن تكون العلة في الفرع مساوية لها في الأصل.

٣- **أن تكون العلة في الفرع:** أقل وضوحاً من الأصل.

والشافعي لا يلجأ إلى القياس إلا عند الضرورة كلجوء المضطر إلى أكل الميتة، قال في الرسالة: ونحكم بالإجماع، ثم بالقياس، وهو أضعف من هذا، ولكنها منزلة ضرورة، لأنه لا يحل القياس والخبر موجود، كما يكون التيمم طهارة في السفر عند الإعواز من الماء، ولا يكون طهارة إذا وجد الماء، إنما يكون طهارة عند الإعواز [٣].

---

(١) الرسالة: الشافعي ٥٩٧/١، المستصفى من علم الأصول: الغزالي ٣٢٥/١، إعلام الموقعين: ابن القيم ١٢٠/٤، الإحكام في أصول الأحكام: الآمدي ١٤٩/٤، إرشاد الفحول: الشوكاني ص٧٩٥،تاريخ المذاهب:محمد أبو زهرة ٤٦٦/٢.

(٢) المستصفى: الغزالي ١٩٢/٢،الشافعي: محمد أبو زهرة ص ٢٣٧، تاريخ المذاهب:محمد أبو زهرة ٤٦٩/٢.

(٣) الرسالة: الشافعي ص ٤٧٦، ٥٩٩، الشافعي: محمد أبو زهرة ص ٢٣٧، المدخل للمدارس والمذاهب الفقهية: الأشقر ص ١٤٠.

وقد أبطل الاستحسان، وردّ على من قال به بشدة، حيث قال:"من استحسن فإنه أراد أن يكون شارعاً"(١).

وما أحسن قولة الشيخ أحمد محمد شاكر في مقدمة تحقيق الرسالة (ص٥٥):

"إن هذا الرجل لم يظهر مثله في علماء الإسلام، في فقه الكتاب والسنة، ونفوذ النظر فيهما، ودقة الاستنباط، مع قوة العارضة، ونور البصيرة، والإبداع في إقامة الحجة، وإفحام مُناظره فصيح اللسان، ناصع البيان، في الذروة العليا من البلاغة، تأدب بأدب البادية، وأخذ العلوم والمعارف عن أهل الحضر، حتى سما عن كل عالم قبله وبعده، نبغ في الحجاز، وكان إلى علمائه مرجع الرواية والسنة، وكانوا أساطين العلم في فقه القرآن، ولم يكن الكثير منهم أهل لَسَنٍ وجدل، وكانوا يعجزون عن مناظرة أهل الرأي، فجاء هذا الشاب يناظر وينافح، ويعرف كيف يقوم بحجته، وكيف يلزم أهل الرأي وجوب إتباع السنة، وكيف يثبت لهم الحجة في خبر الواحد، وكيف يفصّل للناس طرق فهم الكتاب على ما عرف من بيان العرب وفصاحتهم، وكيف يدلهم على الناسخ والمنسوخ من الكتاب والسنة، وعلى الجمع بين ما ظاهره التعارض فيهما، أو في أحدهما حتى سماه أهل مكة (ناصر الحديث)، وتواترت أخباره إلى علماء الإسلام في عصره، فكانوا يفدون إلى مكة للحج، يناظرونه ويأخذون عنه

في حياة شيوخه".

ومن الأمور التي يمتاز بها الشافعيّ عن غيره من العلماء أنه هو الذي أصّل أصول مذهبه، وكتب الكتب التي تعتبر متناً لفقهه.

وقد ترك الشافعي ثروة عظيمة من العلم والمعرفة، تمثلت في عشرات اُلمؤلَّفَات والكتب، في الفقه والأصول، ومئات الأقوال والفَتاوى والحِكَم، في مخْتلِف الموضوعات العلمية والفقهية، وهذه الثروة العلمية الكَبِيرة، تدل على مدى ما كان يتمتع به هذا الإمام، من عِلْمٍ غَزِير، وعقلٍ متفَتِحٍ، وفَهمٍ صحِيح.

ومن أهم المؤلفات الفقهية التي تركها الشافعي رحمه الله:

١- كتاب (الرسالة) وهو كتاب جامع في الحديث والأصول، وهو أول كتاب في أصول الفقه، وقد طُبِع في مجلد واحد، وهو من رواية الربيع بن سليمان عن الشافعي رحمه الله.

(١) حجة الله البالغة: الدهلوي ١٤٧/١.

٢- كتاب (الأم)، وهو كتاب موسوعي من أهم وأجمع كتب الإمام الشافعي رحمه الله، وقد وضعه بمصر، وهو يمثل مذهبه الجديد في الفقه، وقد طبع أكثر من مرة.

٣- كتاب أحكام القرآن، ذكره صاحب كشف الظنون [١]، وذكره الحافظ ابن حجر في توالي التأسيس.

المبحث الثالث- الشافعي المحدث:

المطلب الأول- اهتمام الشافعي في جمع الحديث النبوي:

إنّ الإمام الشافعي هو أحد أئمة أهل الحديث وأحد رواته وله كتاب يسمى مسند الإمام الشافعي فيه الكثير من الأحاديث النبوية، وكان الشافعي حافظاً لكثير من الأحاديث النبوية، وحفظه له لا يباريه فيه إلا أهل الصناعة فيه؛ ولكن لم يكن استيعابه وحفظه للحديث على طريقة المحدثين، يستكثرون من الرواية كما يستكثرون من الشيوخ، ويبحثون عن السند العالي ما أمكنهم.

يقول ابن حجر: كان الشافعي مكثراً من الحديث، ولم يكثر من الشيوخ كعادة أهل الحديث، لإقباله على الاشتغال بالفقه حتى حصّل منه ما حصّل [٢].

ويقول ابن حجر: وكان معظم أحاديث الأحكام حاصلةً عنده، لا يشذّ منها إلا النادر، ويكفي في الدلالة على ذلك قول الإمام أبي بكر بن خزيمة، وسئل هل يعرف للنبي صلى الله عليه وسلم سنة صحيحة لم يودعها الشافعي كتبه، قال: لا [٣].

وقال أحمد بن حنبل: وكان الشافعي أفقه الناس في كتاب الله عز وجل، وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما كان يكفيه قليل الطلب في الحديث [٤].

وعن المزني: سمعت الشافعي يقول:"إني كنت لأسير الليالي في طلب الحديث الواحد"[٥].

وكان رحمه الله يبحث عن الأحاديث الصحيحة، حيث يقول أحمد بن حنبل: قال لي الشافعي:"إذا صح الحديث فقل لي: أذهب إليه، حجازياً كان أو عراقياً، شامياً كان أو مصرياً [٦].

(١) انظر: كشف الظنون لحاجي خليفة ٩/٦.
(٢) توالي التأسيس لمعالي ابن إدريس: ابن حجر ص ٥٣.
(٣) تهذيب الأسماء واللغات: الإمام النووي ١/٥١.
(٤) آداب الشافعي ومناقبه: الرازي ص ٥٥.
(٥) توالي التأسيس لمعالي ابن إدريس: ابن حجر ص ٥٢.
(٦) توالي التأسيس لمعالي ابن إدريس: ابن حجر ص ٦٣.

ويقول النووي: ومن ذلك – أي من فضائله – تمسكه بالأحاديث الصحيحة، وإعراضه عن الأخبار الواهية والضعيفة، ولا أعلم أحداً من الفقهاء اعتنى في الاحتجاج بالتمييز بين الصحيح والضعيف كاعتنائه، ولا قريباً منه، وهذا واضح جلي في كتبه، وإن كان أكثر أصحابنا لم يسلكوا طريقته في هذا [١].

ولذلك كان الشافعي أحياناً يتشكك في بعض ما يرويه، ويخشى أن يكون مصاباً بضعف، قال الربيع: كان ابن هرم يلزم الشافعي، فقال له: يا أبا عبد الله، تملي علينا السنن التي صحت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الشافعي:السنن التي تصح قليلة، هذا أبو بكر لا يصح له تسعة أحاديث، وعمر لا يصح له خمسون حديثاً، وعثمان فأقل، وعليّ مع ما كان يحض الناس على الأخذ عنه لا يصح له حديث كثير، والصحيح عند أهل المعرفة قليل [٢].

المطلب الثاني– عدالة الشافعي وأمانته في جمع الحديث النبوي:

لقد أثنى عليه علماء أهل الحديث ووثقوه ومن جملة ما قيل في الشافعي كإمام محدث:

أ– قال يحيى بن معين عن الشافعي أنّه ليس به بأس [٣].

ب– وعن أبي زرعة الرازي قال ما عند الشافعي حديث فيه غلط [٤].

ت– وقال أبو داود السجستاني ما أعلم للشافعي حديثا خطأ[٥].

ث– قال أبو حاتم الرازي محمد بن إدريس صدوق، حيث يروي حرملة بن يحيى عن الشافعي قال:"ما كذبت قط، وما حلفت قط بالله صادقاً ولا كاذباً"[٦].

ويقول الإمام الذهبي رحمه الله معلقاً على الأقوال السابقة:"هذا من أدل شيء على أنه ثقة حجة حافظ...، و قد روى الإمام احمد بن حنبل والترمذي والنسائي وابن حبان وغيرهم عن هذا الأمام المحدث، وقد صنف الحافظ أبو بكر الخطيب كتاباً في ثبوت الاحتجاج بالإمام الشافعي، يقول ابن

(١) تهذيب الأسماء واللغات: الإمام النووي ١/٥١.
(٢) الطبقات الكبرى: لابن السبكي ٢/٨١.
(٣) الوافي بالوفيات: الصفدي ٢/١٧٣.
(٤) الوافي بالوفيات: الصفدي ٢/١٧٣.
(٥) شذرات الذهب: لابن العماد ٢/٩.
(٦) توالي التأسيس لمعالي ابن إدريس: ابن حجر ص ٦٧.

خلكان:"اتفق العلماء قاطبةً من أهل الحديث والفقه والأصول واللغة والنحو وغير ذلك: على ثقته، وأمانته، وعدالته، وزهده، وورعه، ونزاهة عرضه، وعفة نفسه، وحسن سيرته، وعلو قدره وسخائه"(١).

المطلب الثالث- عناية الشافعي بعلوم الحديث النبوي:

المعروف الذي أطبق عليه علماء الإسلام أن الشافعي أول من وضع علم أصول الفقه، ولكن القليل من يعلم أنه أول من وضع ما يسمى بأصول الحديث، أو ما يسميه المتأخرون: "مصطلح الحديث".

فقد وضع في هذا الفن مصطلحات كثيرة لم يسبق إليها كقوله:"إذا اتصل الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحّ الإسناد به؛ فهو سنة"(٢).

ومن عناية الإمام الشافعي بالحديث وعلومه أنه كان ينبه إلى مراعاة السند وعدالة الحديث عند اعتماد الحديث وكان يقول: إذا اتصل الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصح إسناده فهو سنة يجب الأخذ به والعمل بموجبه.

قال ابن حجر:"ولكون الإسناد يعرف به الموضوع من غيره، كانت معرفته من فروض الكفاية، ولذلك فهموا أن أمره صلى الله عليه وسلم: بلغوا عني، أن المقصود منه: اتصال السند بنقل الثقة إلى مثله إلى منتهاه، وفيه إيجاب التحرز عن الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلا بما يصح بنقل الإسناد، كما فهموا منه أيضاً، أداء اللفظ كما سمع من غير تغيير"(٣).

وقال في مختلف الحديث: إذا جاء عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أقاويل مختلفة، ينظر إلى ما هو أشبه بالكتاب والسنة فيؤخذ به، وإذا اختلفوا نظر أتبعهم للقياس، إذا لم يوجد أصل يخالفهم اتبع أتبعهم للقياس، والحديث على ظاهره، وإذا احتمل المعاني، فما أشبه منها ظاهر الأحاديث أولاها به، وإذا تكافأت الأحاديث فأصحها إسناداً أولاها.

وقال عن الحديث المرسل:"وليس المنقطع بشيء ما عدا منقطع المسيب"، لأن الشافعي كان قد عرف أن من عادة ابن المسيب أن لا يروي إلا عن عدل.

وجاء في جمع الجوامع:"والمراد بالمنقطع هنا المرسل في اصطلاح الفقهاء والأصوليين وبعض المحدثين، وهو قول غير الصحابي تابعياً كان أو بعده قال النبي صلى الله

(١) وفيات الأعيان: لابن خلكان ٥٦٦/١.
(٢) آداب الشافعي ومناقبه: الرازي ص ٢٣٢.
(٣) طبقات الشافعية الكبرى: السبكي ٢٠٧- ٢١٦، ٢٢٣.

عليه وسلم كذا [١].

ولقد قبل الإمام الشافعي المرسل بشروط كما جاء ذلك في كتاب الرسالة، وهي أربعة شروط ثلاثة في الراوي المرسل وواحد عن الحديث المرسل، وهذه الشروط هي: أن يكون المرسل من كبار التابعين، وإذا سمى من أرسل عنه سمى ثقة، وإذا شاركه الحفاظ لم يخالفوه [٢].

أما الشرط الذي في الحديث فهو: أن يروي الحديث من وجه آخر مسنداً أو مرسلاً أو يوافق قول صحابي أو يفتي بمقتضاه أكثر أهل العلم.

وقال الشافعي في تعريف الحديث الشاذ:"ليس الشاذ من الحديث أن يروي الثقة حديثاً لم يروه غيره، إنما الشاذ من الحديث أن يروي الثقات حديثاً فيشذ عنهم واحد فيخالفهم"[٣].

ولقد وضع الشافعي حداً للجرح والتعديل حسب ما جاء في الكفاية حيث قال في هذا الشأن: لا نعلم أحداً أعطى طاعة الله لم يخلطها بمعصية، فإذا كان الأغلب الطاعة فهو المعدل وإذا كان الأغلب المعصية فهو المجروح [٤].

وكان الشافعي أيضاً ذا خبرة عالية بعلل الحديث، فقد عقد البيهقي باباً كاملاً في بيان معرفة الشافعي بعلل الحديث، وذلك في مؤلفه"مناقب الشافعي"، ومما يدل على معرفته بالعلل قوله:"لا يستدل على أكثر صدق الحديث وكذبه إلا بصدق المخبر وكذبه إلا في الخاص القليل [٥].

ونقل ابن عساكر في تاريخه قول هلال بن العلاء:"أصحاب الحديث عيال على الشافعي فتح لهم الأقفال، ونقل ما أثر عنه من معرفة الجرح والتعديل، ونقد الرجال وعلل الحديث، ونظره في المصطلح وشرائطه فيمن يقبل خبره، ورأيه في مراسيل التابعين [٦].

ومن أهم المؤلفات التي تركها الإمام الشافعي في الحديث وعلومه:

---

(١) جمع الجوامع ١١٧/٢.

(٢) الرسالة: الشافعي ص ٤٦١.

(٣) آداب الشافعي ومناقبه: الرازي ص ٣٢٣.

(٤) الكفاية في علم الرواية: للخطيب البغدادي ص ٧٩.

(٥) مناقب الشافعي: البيهقي ٥/٢.

(٦) تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر ٤٢٨/١٤.

١- كتاب (المسند): ويشتمل على أحاديث مسندة من روايته بالسند وهو ليس من تصنيفه، وإنما من تصنيف تلميذه وراوية كُتبِه الربيع بن سليمان المرادي، روايةً عنه، وقد عنِي بترتيبه على الأبواب الفقهية السيد محمد عابد السندي، وهو مطبوع في مجلد واحد [١].

٢- كتاب السنن: وقد أخذه عنه تلميذه حرملة بن يحيى بن عبد الله التجِيبي المصري، وقد ذكره الحافظ ابن حجر العسقلاني، وقد طُبع بمصر عام ١٣١٥ هـ [٢].

٣- كتاب (اختلاف الحديث): وهو جزء من تراثه في خدمة الحديث النبوي الشريف.

المبحث الرابع- الشافعي المفسر:

المطلب الأول- براعة الشافعي في القرآن وتفسيره:

حفظ الشافعي القرآن الكريم وهو ابن سبع سنين،ثم تابع تلقيه للعلوم الشرعية عن علماء المسجد الحرام، وأغلب نزعة هؤلاء الشيوخ، يتجه إلى الاهتمام بالقرن الكريم وفهم تفسيره، فهم تلاميذ ابن عباس رضي الله عنهما، وأتباع مدرسته.

ثم نراه حفظ السنة التي وجدها عند علماء بلده، انتقل بعدها إلى البادية فحفظ أشعار قبيلة هذيل، بل بقي عندهم مصاحباً لهم في حلهم وترحالهم، حتى أصبح شاباً يافعاً.

ثم رجع إلى مكة المكرمة، وقد حاز على مَلَكَة لغوية جعلته أفصح عصره، ولولا اتجاهه إلى الفقه لكان من أنبغ أدباء اللغة العربية وشعرائها وكتابها.

يقول المبرد:"رحم الله الشافعي فإنه كان من أشعر الناس، وآدب الناس وأعرفهم بالقرآن"[٣].

إن براعة الشافعي بالفقه والاستنباط والتفسير ظهرت مبكرة، حتى إن شيخه ابن عيينة كان إذا جاءه شيء من التفسير والفتيا التفت إلى الشافعي وقال: (سلوا هذا) [٤].

لقد بلغ الشافعي بحفظه لكتاب الله واهتمامه به، ثم معرفته بعلومه، واستنباط أحكامه، وفهم مقاصده شأواً عظيماً لا يجاري، شهد له به القريب والبعيد.

فهذا يونس بن الأعلى يقول:"كنت أجالس أصحاب التفسير، وأناظر عليه، وكان الشافعي إذا أخذ في التفسير، كأنه شهد التنزيل"[١].

---

(١) انظر: الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة للعلامة محمد بن جعفر الكتاني، وانظر: مسند الشافعي – دار الكتب العلمية/بيروت.

(٢) انظر: معجم المطبوعات العربية والمعربة: يوسف سركيس١/٤٧٠.

(٣) توالي التأسيس: ابن حجر ص ١٠٤.

(٤) توالي التأسيس: ابن حجر ص ٧٦.

ولننظر إلى شهادة إمام أهل الظاهر (داود) نقلاً عن ابن راهويه إذ يقول:"ذهبت أنا وأحمد رحمه الله إلى الشافعي بمكة، فسألته عن أشياء فوجدته فصيحاً، حسن الأدب، فلما فارقناه أعلمني جماعة من أهل القرآن، أنه كان أعلم الناس في زمانه بمعاني القرآن، وأنه قد أوتي فيه فهماً لو كنت عرفته للزمته"،قال داود:"ورأيته يتأسف على ما فاته منه"(٢).

ونضيف شهادة الإمام أحمد في الشافعي: فقد روى الفضيل البزار عن الإمام أحمد قوله:"ما رأيت أحداً أفقه في كتاب الله عز وجل من هذا الفتى القرشي"(٣)، وإذا تصفحنا كتاب الرسالة للشافعي نجد أن القرآن محورها وحجتها إلى يوم الدين (٤).

المطلب الثاني- مصادر الإمام الشافعي في التفسير:

إنّ التفسير في الشام ومصر انتشر بالتدوين الرسمي، - بطلب من الدواة الإسلامية -، زمن الأمويين خلال القرن الأول الهجري، بل من منتصفه أي بعد موت مروان بن الحكم سنة ٦٥ هـ، وكان السبق في ذلك للتابعين الجليلين (مجاهد بن جبر وسعيد بن جبير) رحمهما الله تعالى، فكان تفسيرهما هو السائد، حتى كان الشافعي يعتمد على تفسير مجاهد كثيراً، وقد نقل كثيراً من مروياته في التفسير ضمن مصنفه (الأم)، كما أنه روى عن سعيد بن جبير في التفسير من طريق عبد الملك بن جريج رحمهم الله تعالى (٥).

وإذا استقرأنا تفسير الشافعي نجد أنه يعتمد على المصادر التالية:

١- تفسير القرآن بالقرآن.

٢- تفسير القرآن بالسنة المتواترة وبأخبار الآحاد الصحيحة.

٣- تفسيره القرآن بالإجماع ويعتبره مقدماً على القياس.

٤- تفسيره القرآن بالقياس.

٥- تفسير القرآن بأقوال الصحابة الكرام رضوان الله عليهم.

٦- تفسير القرآن بأقوال التابعين والأئمة رحمهم الله.

٧- تفسيره القرآن بالأسلوب العربي واستخدام اللغة وأساليبها.

---

(١) توالي التأسيس: ابن حجر ص ٨٩، مناقب الشافعي: ابن كثير، تحقيق ملا خاطر ص ١٦٩..

(٢) توالي التأسيس: ابن حجر ص ٩٠.

(٣) الجرح والتعديل: الرازي ٢٠٣/٧-٢٠٤.

(٤) الرسالة ص ٢٠ الفقرة ٤٨.

(٥) انظر: مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية ص٤٢-٨٥.

وقد أشار الإمام الشيخ محمد أبو زهرة إلى هذه المصادر بقوله:

"وقد سلك الشافعي رحمه الله ذلك المسلك القويم، فهو يستعين بالاستنباط من القرآن والسنة، وإلا تكن سنة بين يديه حاضرة،استعان بأقوال الصحابة في وفاتهم وخلافهم، وإن لم يكن قول صحابي استعان بالأسلوب العربي، والرأي والقياس"(١).

المطلب الثالث- نماذج من منهج الإمام الشافعي في التفسير:

أولاً- تقسيمه لألفاظ القرآن من حيث العموم والخصوص:

يقسم الشافعي ألفاظ القرآن الكريم لفهم مراد الله فيه،إلى عامة وخاصة، وأن الألفاظ العامة الواردة في كتاب الله عز وجل تقسم إلى أربعة أقسام هي(٢):

١- عام ظاهر يراد به العام الظاهر، فيدخل في مفهومه كل ما يشمله اللفظ كقوله تعالى:

﴿ **و مَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللّهِ رِزْقُهَا** ﴾ (هود: ٦)

ففي الآية أن كل شيء من سماء وأرض، وذي روح وشجر وغير ذلك: فالله خالقه، وكل دابة فعلى الله رزقها، ويعلم مستقرها ومستودعها.

٢- عام ظاهر يراد به العام ويدخله الخصوص كقوله تعالى:

﴿ **وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا** ﴾ (النساء: ٧٥)

ففي هذه الآية خصوص، لأن كل أهل القرية لم يكن ظالماً، ولكن الظالمين كثرة، وغير الظالمين قِلَّة.

٣- عام الظاهر وهو يجمع العام والخصوص كقوله تعالى:

﴿ **كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ (البقرة: ١٨٣)

﴿**إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَّوْقُوتاً** ﴾ (النساء: ١٠٣)

وهكذا التنزيل في الصوم والصلاة عموم وخصوص، فيجبان على البالغين العاقلين، دون من لم يبلغ ممن غُلِبَ على عقله، ودون الحُيِّض في أيام حيضهن.

٤- عام الظاهر يراد به كله الخاص، فالمراد من لفظه العام تخصيصه ببعض أفراده أو أجزائه، فكأن العام وُضِع موضع الخاص، ومثاله على ذلك قوله تعالى:

---

(١) الشافعي حياته وعصره: محمد أبو زهرة ص ١٨٥.

(٢) الرسالة ص ٥٣-٥٤.

﴿ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ (البقرة: ٢٤)

حيث دل كتاب الله على أنه إنما أراد: وقودها بعض الناس، لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ (الأنبياء: ١٠١)

ثانياً- تفسير القرآن بالقرآن:

إنّ الشافعي كان من أوائل من قسَّم دلالة اللفظ العام الوارد في كتاب الله عز وجل، بل جعل فهم النص أساس في تطبيق مراد الله تعالى منه، فنراه في تفسيره أول من ينظر في كتاب الله تعالى، فإذا ورد ما يبين العام أو يخصصه، أو يقيد المطلق أو يصرفه إلى أمر خاص التزم به.

كما نجد أنه يربط في تفسيره الآية مع ما تماثلها أو تكملها وتوضح معناها، وهذا واضح جداً في تفسيره للقرآن والأمثلة على ذلك كثير منها:

١- يقرر في قبول شهادة الشاهد وجوب العدل، فنراه يقيد المطلق في قوله تعالى: ﴿ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاء.... ﴾ (البقرة: ٢٨٢) بقول الله عز وجل: ﴿ ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ (الطلاق: ٢)

حيث نجده يعتبر أن العدالة أصل في الشهود سواء ذكر ذلك أن لم يذكر، فلابد من العدالة حتى تقبل شهادة الشهود [١].

٢- رَبْطُ الإمام الشافعي قول الله تعالى: ﴿ وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾ (آل عمران: ١٠٥) بقول الله تعالى: ﴿ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴾ (البينة: ٤)، حيث بين الشافعي أنّ الله ذم الاختلاف بالموضع الذي أقام عليهم الحجة، ولم يأذن لهم فيه [٢].

وأمثال ذلك كثير في تفسير الشافعي حيث ربط الآيات ببعضها سواء كانت توضيحاً لمجمل، أم تخصيصاً لمطلق، أم تقييداً لحكم، أو تفسيراً للفظ، وما ذكر من أمثلة يوجد مثله ممن يطلع على تفسير الإمام الشافعي.

---

(١) جماع العلم ص ٧٠ الفقرة ٤٤١-٤٤٣.

(٢) جماع العلم ص ٦٩ الفقرة ٤٣٤- ٤٣٧.

المبحث الخامس– الشافعي صاحب اللغة العربية السليمة وصاحب الحجة البليغة:

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول– حرص الشافعي على تعلم اللغة العربية من البادية:

إنّ الإمام الشافعي رحمه الله حرص على تعلُّم اللغة العربية السليمة، لأنّ فهم اللغة العربية ومعرفة معانيها شيء أساسي ولا غنى عنه لطالب العلم، ولا سيما أنّ القرآن مكتوب باللغة العربية والسنة النبوية هي باللغة العربية السليمة.

ولهذا كان الشافعي فصيح اللسان ناصع البيان، تأدب بأدب البادية وأخذ العلوم والمعارف عن أهل الحضر، وظهرت علامات النبوغ عند الشافعي صغيراً فحفظ القرآن وهو ابن سبع، وعني بتعليم قواعد العربية وكلماتها، ولقد كان منصرفاً إلى الشعر والأدب وأيام العرب، ولهذا رحل في سبيل ذلك إلى البادية وعاشر قبيلة هذيل نحو سبع عشرة سنة ليتعلم من كلامها ويأخذ طبعها، وكانت هذيل من أفصح العرب، وحفظ الشافعي أشعار هذيل وأخبارها ولعل ما يعزز ذلك أن الأصمعي صحح أشعار هذيل عليه، ولقد كان بصيراً باللغة حجة فيها.

وهذا ما أكسبه سعة الأفق، وعمق البحث، وقوة العارضة والذي نحب أن نشير إليه هنا هو عدم اكتفائه بفصاحته الموروثة، فهو (عربي الأصل، عربي اللسان)، بل نراه أقام على العربية وأيام الناس عشرين سنة، وقال: ما أردت بهذا إلا الاستعانة على الفقه [١].

فالشافعي لم يحصر نفسه في دائرة علم الحديث وحده، أو الفقه وحده، بل كان محدثاً فقيهاً وفقيهاً محدثاً، بل تعداهما إلى أن يكون حجة في غيرهما، كاللغة، والشعر، والأنساب، قال الإمام أحمد بن حنبل:"الشافعيّ فيلسوف في أربعة أشياء: في اللغة، واختلاف الناس، المعاني والفقه) [٢].

فعندما نقرأ قول الشافعي: (أروي لثلاثمائة شاعر مجنون) وأنه أخذ عنه كبار علماء العربية شعر هذيل لا نطالب حَمَلَة الدعوة الإسلامية اليوم بما يشبه ذلك، ولا بعشر معشاره، ولكن نطالبهم أن يحبوا لغة قرآنهم، ولغة نبيهم – صلى الله عليه وسلم –، وحاوية ثقافتهم، وعنوان هويتهم، وأن يبتعدوا عن كل ما من شأنه تنقص هذه اللغة، وأن ينبذوا الأفكار الشعوبية التي أطلت برأسها من جديد، مسلحة بإعلام قوي تنفق عليه مئات الملايين، فألقت بظلالها على فكر كثير من المسلمين، وفصاحة الشافعي في مناظراته وكتبه مما لا تحتاج إلى إقامة الدليل عليها، ولكننا نشير إلى هذه

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) مناقب الشافعيّ للبيهقي ٤٢/٢.

الميزة وننوه بها؛ لما نراه من تقصير – من الدعاة وطلبة العلم وورثته في هذا العصر – في تعلم العربية، وزهدهم بها، وعدم إحلالها المحل الذي تستحق من اهتماماتهم، بل وإشاحتهم عن التزود بما لا يحسن جهله منها شأن علمائنا السابقين الذين كانوا يرون تعلم لغة القرآن ديناً، وما لا يتم الواجب به فهو واجب.

المطلب الثاني– شهادة العلماء على فصاحة الشافعي:

كان الإمام الشافعي خبيراً في اللغة، يفسر غريب الحديث وغريب الكلام، وقد أشاد من عاصر الشافعي من العلماء والفقهاء والمحدثين بسلامة لغته العربية وبقوة بيانه وهذه بعض تلك الأقوال [(١)]:

١– عن يونس بن عبد الأعلى قال: ما كان الشافعي إلا ساحراً ما كنّا ندري ما يقول إذا قعدنا حوله كأنّ ألفاظه سكر وكان قد أوتي عذوبة منطق وحسن بلاغة وفرط ذكاء وسيلان ذهن وكمال فصاحة وحضور حجة.

٢– وعن عبد الملك بن هشام اللغوي: قال طالت مجالستنا للشافعي فما سمعت منه لحنة قط.

٣– قال احمد بن أبي سريج الرازي: ما رأيت أحداً أفوه ولا أنطق من الشافعي[(٢)].

٤– وقال الأصمعي (الشاعر المعروف): أخذت شعر هذيل عن الشافعي [(٣)].

٥– قال الذهبي: أنّى يكون ذلك وبمثله في الفصاحة يضرب المثل كان أفصح قريش في زمانه وكان مما يؤخذ عنه اللغة.

٦– وقال هشام بن عبد الملك:"الشافعي بصير باللغة يؤخذ عنه ولسانه لغة فاكتبوه"

المطلب الثالث– الشافعي الشاعر:

عاش الشافعي في البادية سبعة عشر عاماً يحفظ لغة العرب وأشعارهم، فحفظ عشرة آلاف بيت من شعر الهذليين، وهو شعر جاهلي وإسلامي فصيح، فيه كثير من الحماسة والفضائل والحكمة، فكان شعر الإمام الشافعي درراً ملأه حكمة، وكان فخماً عميق المعاني ويبتعد عن غريب الألفاظ، فيه موعظة وتوجيه ونصيحة، وفيه القوة والجزالة وشرف الغرض الذي تقال فيه، وسأذكر عدداً من الدرر التي ذكرها الإمام الشافعي في الديوان فمما قاله في الرضى بقضاء الله عز وجل:

(١) سير أعلام النبلاء: الذهبي ٤٩/١٠، تاريخ دمشق: ابن عساكر ٥/١٥.

(٢) مناقب الشافعي: البيهقي ١٣٦/١.

(٣) سير أعلام النبلاء ٤٩/١٠، مناقب الشافعيّ للبيهقي ٤٢/٢.

دع الأيام تَفْعلُ ما تشاء وطِب نفساً إذا حَكم القضاء
ولا تَجزع لحادثةِ الليالِي فما لحوادثِ الدنيا بقاء
وكُن رجلاً على الأهوالِ جلداً وشيمتُك السماحةُ والوفاء [١].

ويبين الإمام أن للسفر فوائد لا بد من اغتنامها فيقول:

تَغرب عن الأوطانِ في طلب العلى وسافر ففي الأسفار خمس فوائِدِ
تَفرج هم واكتساب معيشةٍ وعِلْم وآداب وصحبةُ ماجِد [٢].

كما يعلمنا بأن نور العلم يسطع بترك المعاصي، وهذا ما أرشده إليه شيخه وكيع فيقول:

شَكوتُ إلى وكيعٍ سوء حفظي فأرشدني إلى تَرك المعاصي
وأخبرني بأن العلم نُور ونور الله لا يهدى لعاصِي [٣].

فترك المعاصي هو السبيل الوحيد لتحصيل العلم الشرعي الذي يرضى عنه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، لأنه نور الله، ونور الله لا يهدى لعاصي.

ومما قاله في زِينَةُ الإنسانِ بالعِلْمِ والتَّقوى:

اصبِر على مر الجفا مِن معلِّمٍ فإن رسوب العلم في نَفراتِهِ
ومن لَم يذُقْ مر التَّعلُّمِ ساعةً تَجرع ذُلَّ الجهلِ طُولَ حياتِهِ
ومن فَاتَه التَّعلِيم وْقت شَبابِه فَكبر عليه أَربعاً لِوَفاتِهِ
وذاتُ الَفتى واللهِ بالعلم والتُّقى إَذا لَم يكُونا لا اعتِبار لِذَاتِه [٤].

وتتضمن هذه القصيدة عدداً من الإشارات والتنبيهات:

١- زينة الإنسان بالعلم والتقوى وإذا لم يكونا لا اعتبار لذاته.

٢- لا بد للإنسان حتى يحقق هذا الأمر من الصبر على التعلم، وتحمل مشاقه، وإلا فلن يحقق نجاحاً وسيتجرع الذل طول حياته.

٣- استخدم الشافعي عدداً من الأساليب البلاغية في هذه القصيدة للتعبيرعن المعنى المقصود وهي: أسلوب الأمر في قوله"اصبر وكبر"، والأسلوب الخبري الطلبي في قوله"فإن رسوب

(١) ديوان الشافعي ص ١٥.
(٢) ديوان الشافعي ص ٤١.
(٣) ديوان الشافعي ص ٥٤.
(٤) ديوان الشافعي ص ٢٩.

العلم في نفراته"وقوله"ومن لم يذق مر التعلم تجرع ذل الجهل"، والأسلوب الإنشائي غير الطلبي مستخدماً القسم في قوله"وذاتُ الفتى – والله – بالعلم والتقى"، والاعتراض بالقسم في قوله"والله"لإظهار أهمية الشيء المقسم به، والاعتراض هو: كل كلام أُدخل فيه لفظ مفرد أو مركب، لو سقط لبقي المعنى الأول على حاله [1].

بعد هذا العرض لعدد من القصائد الشعرية للإمام الشافعي وقراءة الديوان قراءة متأنية من أجل بيان ما فيها من بلاغة تبين لنا أن هذه القصائد تتضمن عدداً كبيراً من المسائل البلاغية موزعة على علم المعاني والبيان والبديع، مما يظهر بلاغة الإمام وخبرته وحكمته التي تمتع بها وغلبت على أشعاره، فهو إمام حاضر البديهة، قوي الإدراك، عميق الفكر، واسع العقل، فصيح اللسان، موفور البيان، قوي الجنان.

المبحث السادس: الشافعي المربي والحكيم المثقف:

تناثرت أقوال الشافعي في الكتب التي كتبها أو التي كتبت عنه، وسأذكر بعضاً منها جمعها الدكتور أحمد الشرباصي في كتابه الأئمة الأربعة ومنها [2]:

- ليس بأخيك من احتجت إلى مداراته.
- تفقه قبل أن ترأس فإذا رأست فلا سبيل إلى التفقه.
- من أراد الدنيا فعليه بالعلم، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم.
- من طلب العلم فليدقق وإلا ضاع دقيق العلم.
- من لم تُعِزه التقوى فلا عز له.
- صحبة من لا يخاف العار عار يوم القيامة.
- من ولي القضاء ولم يفتقر كان لصاً.
- من نَم لك نم بك، ومن إذا أرضيته قال فيك ما ليس فيك، وإذا أغضبته قال فيك ما ليس فيك.
- الإيمان قول وعمل يزيد وينقص.

(١) المثل السائر: ابن الأثير ٤/٣.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء ٥/١٠– ٥١، الأئمة الأربعة: أحمد الشرباصي ص ١٣٧.

- تجاوز الله عما في القلوب وكتب على الناس الأفعال والأقاويل.
- اللبيب العاقل هو الفطن المتغافل.
- لو أعلم أن الماء البارد ينقص مروءتي ما شربته.
- العاقل من عقله عقلُه عن كل مذموم.
- أرفع الناس قدراً من لا يرى قدره وأكثرهم فضلاً من لا يرى فضله.
- قال التواضع من أخلاق الكرام والتكبر من شيم اللئام التواضع يورث المحبة والقناعة تورث الراحة.
- إذا تكلمت فيما لا يعنيك ملكتك الكلمة ولم تملكها.
- أنفع الذخائر التقوى وأضرها العدوان.
- اجتناب المعاصي وترك ما لا يعنيك ينور القلب عليك بالخلوة وقلة الأكل.
- إياك ومخالطة السفهاء ومن لا ينصفك.
- طلب فضول الدنيا عقوبة عاقب بها الله أهل التوحيد.
- آلات الرياسة خمس صدق اللهجة وكتمان السر والوفاء بالعهد وابتداء النصيحة وأداء الأمانة.
- من لزم الشهوات لزمته عبودية أبناء الدنيا.
- من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضى فلم يرض فهو شيطان.

والمقصود بالغضب هنا هو الغضب في أمور الدين وفي إقامة حدود الله، وفي الحمية والغيرة للذود عن الإسلام والمسلمين.

- الخير في خمسة: غنى النفس وكف الأذى وكسب الحلال والتقوى والثقة بالله.

وقال المزني عن الشافعي قال:"ما كابرني أحد على الحق ودافع إلا سقط من عيني ولا قَبِلَهُ إلا هبته واعتقدت مودته.

إن الناظر للأقوال السابقة تدل على أنها أقوال لا تصدر إلا عن شخص حاضر البديهة، قوي الإدراك، عميق الفكرة، واسع العقل، فصيح اللسان، موفور البيان، قوي الجنان.

ومن الأمثلة على ذلك أن بعض الأئمة سأل الإمام الشافعي عن ثمانية أشياء، فقالوا: ما رأيك في (واجب وأوجب، وعجيب وأعجب، وصعب وأصعب، وقريب وأقرب)؟ فرد عليهم بقوله:"من واجب الناس أن يتوبوا، ولكن ترك الذنوب أوجب، والدهر في صرفه عجيب، وغفلة الناس عنه أعجب، والصبر في النائبات صعب، ولكن فوات الثواب أصعب، وكلُّ ما ترتجي قريب، والموت من دون ذلك أقرب.

إنه الذكاء والبديهة وقوة الإدراك التي جعلت بشر المريسي يقول: (هذا رجل معه نصف عقل أهل الدنيا [1].

النتائج والتوصيات

أما أهم النتائج والتوصيات التي أعانني الله تعالى عليها فهي على النحو الآتي:

أولاً- النتائج: بعد الدراسة والبحث توصلت إلى النتائج التالية:

١- أن الإمام الشافعي قرشي يتصل بالنبي صلى الله عليه وسلم في نسبه، حيث إن جده هو أخو هاشم والد عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم.

٢- أن الإمام الشافعي حفظ القرآن والسنة وبرع في ذلك وارتحل في طلب العلم حتى صار إماماً وعالماً وفقيهاً موسوعياً.

٣- أن الإمام الشافعي كان متمسكاً بالسنة بارعاً في علومها، وإن كثيراً من أئمة الجرح والتعديل قاموا بتعديله.

٤- أن الإمام الشافعي دافع عن السنة ضد أصحاب الأهواء والبدع، ولم نسمع باعتراض أحد من العلماء الموثوق بهم والمتمسكين بالكتاب والسنة عليه، أو أن يرمه أحد منهم الابتداع في الدين زوراً وإفكاً وبهتاناً.

٥- أن الإمام الشافعي بعلمه وفقهه وفكره وإبداعاته؛ هو عالم جليل مبدع في الاجتهاد الفقهي فهو أحد أصحاب المذاهب الفقهية الأربعة المعروفة، فهو بشهادة العلماء أول من أصل علم أصول الفقه الإسلامي.

٦- أظهر البحث عظم قدر علماء الأمة، وذلك في ثناء العلماء على إمامهم ومعلمهم الإمام الشافعي.

ثانياً- التوصيات:

١- التأسي بالإمام الشافعي في الرحلة في طلب العلم والمجاهدة في سبيله.

٢- مضاعفة دور العلماء في البحث العلمي الجاد الذي يؤدي إلى تطوير الأمة الإسلامية.

٣- دعوة علماء الأمة وفقهائها أن يسيروا على نهج الشافعي في اجتهاداته وإبداعاته في كافة العلوم الشرعية والإنسانية.

٤- دعوة كليات الشريعة للاستفادة من فقه الشافعي في مقررات ومساقات الكليات الشرعية.

---

(١) انظر: الأئمة الأربعة: أحمد الشرباصي ص ١٥٢.

٥- الدعوة لإبراز جهود الإمام الشافعي في العلوم المختلفة في كافة الدراسات العليا والبحث العلمي.

٦- ضرورة تبصير الأمة بمكانة العلماء العاملين وتكريمهم في كافة المحافل.

٧- ضرورة استغلال الفقهاء كافة الوسائل الممكنة، من صحافة وتلفاز والشبكة العنكبوتية في نشر الفكر الفقهي من مقاصد وفقه واقع وفقه أولويات وفقه موازنات وسياسة شرعية.

٨- الدعوة بعد هذا المؤتمر العلمي الكريم لتخليد ذكرى الإمام الشافعي بإطلاق اسمه على مراكز وقاعات البحث العلمي في الجامعات والكليات المختلفة.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وفي الختام الحمد لله الذي أعانني ووفقني للكتابة في هذا الموضوع على قدر الفهم والاستطاعة، ولا أدّعي الكمال؛ فإن الكمال المطلق لله وحده، وأسأل الله أن يجعله مباركاً نافعاً إلى يوم الدين.

مراجع البحث

١- **القرآن الكريم.**

٢- **الأئمة الأربعة:** الدكتور أحمد الشرباصي – دار الجيل – بيروت.

٣- **الإحكام في أصول الأحكام:** علي بن محمد الآمدي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٢هـ.

٤- **آداب الشافعي ومناقبه:** ابن أبي حاتم الرازي، تحقيق عبد الغني عبد الخالق،دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٤هـ.

٥- **إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول:** محمد بن علي الشوكاني، دار ابن كثير، دمشق، ط٢، ٢٠٠٠م.

٦- **إعلام الموقعين عن رب العالمين:** محمد بن أبي بكر المعروف بابن القيم الجوزية، شركة الطباعة الفنية المتحدة، مصر، ١٩٦٨م.

٧- **الأم:** محمد بن إدريس الشافعي، كتاب الشعب، مصر، ١٩٦٨م.

٨- **الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء:** لابن عبد البر، تحقيق عبد الفتاح أبوغدة، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب، ط١، ١٤١٧هـ.

٩- **البحر المحيط في أصول الفقه:** بدر الدين بن محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، طبعة وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت،ط٢، ١٩٩٢م.

١٠- **البداية والنهاية:** لابن كثير، مكتبة المعارف، بيروت، ط١.

١١- **تاريخ الإسلام:** للذهبي، تحقيق الدكتور عمر تدمري، دار الكتاب العربي، ط٢.

١٢- **تاريخ بغداد:** للخطيب البغدادي، إشراف مصطفى عطا، دار الكتب العلمية، ط١.

١٣- **تاريخ مدينة دمشق:** الإمام الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن المعروف ابن عساكر،، دراسة وتحقيق عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، دمشق.

١٤- **تاريخ المذاهب الإسلامية:** محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٧م.
١٥- **تهذيب الأسماء واللغات:** الإمام النووي، دار الكتب العلمية- بيروت.
١٦- **تهذيب التهذيب:** ابن حجر العسقلاني مطبعة دار المعارف، ط ١، ١٣٦٦هـ.
١٧- **توالي التأسيس لمعالي ابن إدريس:** للحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
١٨- **الجرح والتعديل:** الإمام محمد بن عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي.
١٩- **جماع العلم:** أبو عبد الله محمد بن إدريس القرشي المطلبي، الشافعي المكي، الناشر: دار الآثار، الطبعة: الأولى ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
٢٠- **حجة الله البالغة:** أحمد الدهلوي، دار الجيل، بيروت، سنة ٢٠٠٥ هـ.
٢١- **حلية الأولياء:** لأبي نعيم الأصبهاني، مطبعة السعادة، مصر، طبعة سنة ١٤١٢هـ.
٢٢- **ديوان الشافعي:** تعليق محمد الزعبي – دار الجيل – بيروت.
٢٣- **الرسالة:** محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية،بيروت.
٢٤- **الرسالة:** محمد بن إدريس الشافعي، ت: احمد شاكر، تصوير دار الفكر.
٢٥- **الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة:** للعلامة محمد بن جعفر الكتاني- دار البشائر الإسلامية/بيروت – ط٥، ١٤١٤ هـ.
٢٦- **سير أعلام النبلاء:** الذهبي، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين، طبعة مؤسسة الرسالة- بيروت ١٤٠٢هـ.
٢٧- **الشافعي حياته وعصره وآراؤه وفقهه:** محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة.
- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب:** لابن العماد الحنبلي، طبعة دار المسيرة – بيروت.
٢٨- **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة:** لأبي القاسم هبة الله بن الحسين بن منصور الطبري اللالكائي، تحقيق الدكتور أحمد سعيد حمدان،طبعة طيبة للنشر والتوزيع، الرياض.
٢٩- **صحيح البخاري:**أبو محمد بن إسماعيل البخاري المتوفى سنة ٢٥٦هـ، والشرح للحافظ أحمد بن على بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ، ترتيب: محمد فؤاد عبد الباقي، الرياض: دار الإسلام، ١٤١٤هـ - ١٩٩٧م، ط١، وطبعة مكتبة الكليات، تحقيق: طه عبد الرءوف، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، الطبعة السلفية، دار المعرفة- بيروت.
٣٠-**صحيح مسلم:** أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، المتوفى سنة ٢٦١هـ، تحقيق وتعليق عليه ملخص شرح الإمام النووي: محمد فؤاد عبد الباقي،، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، ط١، دار الفكر، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، ط١.
٣١- **طبقات الشافعية الكبرى:** السبكي، مطبعة عيسى الحلبي، مصر – القاهر.
٣٢- **الطبقات الكبرى:** تاج الدين أبي نصر بن عبد الكافي السبكي، تحقيق: محمود الطناحي و عبد الفتاح الحلو، دار إحياء الكتب العربية.
٣٣- **العلو للعلي الغفار في صحيح الأخبار وسقيمها:** للذهبي، ط المكتبة السلفية بالمدينة، بدون تاريخ.
٣٤- **عقيدة السلف أصحاب الحديث:** لأبي عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني، الدار السلفية، الكويت.
٣٥- **كشف الظنون:** حاجي خليفة، دار إحياء التراث العربي- بيروت.

٣٦- **الكفاية في علم الرواية:** أحمد بن علي بن ثابت أبو بكر الخطيب البغدادي، تحقيق: أبو عبد الله السورقي، إبراهيم حمدي المدني المكتبة العلمية، المدينة المنورة.

٣٧- **المثل السائر:** ابن الأثير، تحقيق أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار النهضة – مصر.

٣٨- **المدخل إلى دراسة المدارس والمذاهب الفقهية:** الدكتور عمر سليمان الأشقر، دار النفائس، عمان، ط٢، ١٩٩٨م.

٣٩- **المدخل في الفقه الإسلامي:** محمد مصطفى شلبي، الدار الجامعية، بيروت، ط١٠، ١٩٨٥م.

٤٠- **مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية:** كلية الشريعة بجامعة أم القرى، العدد ٢٧، شعبان ١٤١٦هـ.

٤١- **المستصفى من علم الأصول:** أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

٤٢- **مسند الشافعي:** ا محمد بن إدريس الشافعي، دار الكتب العلمية – بيروت.

٤٣- **معجم الأدباء:** ياقوت الحموي، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٠م.

٤٤- **معجم المطبوعات العربية والمعربة:** يوسف سركيس، مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة – مصر.

٤٥- **مناقب الشافعي:** لابن الأثير، تحقيق الدكتور خليل إبراهيم ملا خاطر، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، ط١، ١٤١٠هـ.

٤٦- **مناقب الشافعي:** للبيهقي، تحقيق السيد صقر، طبعة دار التراث.

٤٧- **مناقب الشافعي:** تحقيق الدكتور خليل إبراهيم خاطر، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، ط١، ١٤١٢هـ.

٤٨- **المهذّب في علم أصول الفقه:** الدكتور عبد الكريم النملة، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ.

٤٩- **الموافقات في أصول الشريعة:** إبراهيم بن موسى اللخمي الشاطبي أبو اسحق، المكتبة التجارية، مصر، ط٢، ١٩٧٥م.

٥٠- **الوافي بالوفيات:** صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

٥١- **وفيات الأعيان وأنباء أهل الزمان:** لأبي العباس شمس الدين ابن خلكان، تحقيق: الدكتور إحسان عباس، دار صادر- بيروت.